جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

الذوق الفنـي و آثاره في المتكلم و المخاطب
رؤية تحليلية في عملية التلقي

الدكتورة
هدى الدرديري المبارك عبد القادر الخبير
أستاذ علم اللغة المساعد – كلية العلوم و الآداب بسراة عبيدة
جامعة الملك خالد ـ المملكة العربية السعودية

العدد الثالث والعشرون
للعام ١٤٤١هـ / ٢٠١٩م
الجزء السادس

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٩م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

(شكر وتقدير)

(الباحثة تود شكر

جامعة الملك خالد

على الدعم الإداري والفني

لهذا البحث)

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص

الذوق الفني و آثاره في المتكلم و المخاطب
رؤية تحليلية في عملية التلقي

تناول هذا البحث موضوع الذوق اللفظي وآثاره في السامع و المتكلم. وتمثلت مشكلة البحث فيما لمسته الباحثة من بعض قصور الدراسات التي تناولت مفهوم الذوق اللفظي وأهميته والآثار المترتبة عليه. ويهدف البحث إلى بيان مفهوم الذوق اللفظي و الوقوف على آثار في عملية التلقي. واتبعت الباحثة في دراسة الموضوع المنهج الوصفي التحليلي بغية الخروج بالنتائج المرجوة من البحث. و قام هيكل البحث على مقدمة ومبحثين و خاتمة. ومن أهم النتائج التي توصل إليها البحث: أن الذوق قوة غريزية لها اختصاص بإدراك لطائف الكلام ومحاسنه الخفية، وتحصل بالمثابرة على الدرس، وممارسة كلام أئمة الكتاب، وتكراره على السمع، والتفطن لخواص معانيه وتراكيبه.

والذوق السليم هو عمدة معرفة حسن الكلمات وتمييز ما فيها من وجوه البشاعة ومظاهر الاستكراه، ولا يمكن للذوق أن يصبح وسيلة مشروعة للمعرفة التي تصح لدى الآخر، إلا إذا علل بأسباب عقلية وفنية ونفسية، تستطيع أن توحي بمثل ما نحس به، و في استخدام الألفاظ الجميلة والعبارات الطيبة الحسنة تربية اللسان على ما جمل و حسن من الألفاظ، وتبين مباحث علم المعاني بوجوب مطابقة الكلام لحال السامعين والمواطن التي يقال فيها،. كما أن القول لا يكون بليغا -كيفما كانت صورته- حتى

يلائم المقام الذي قيل فيه، و يناسب حال السامع الذي ألقي عليه. ولقد اهتم علماء اللغة والغريب في معاجمهم ومصنفاتهم ببيان ما يعاب استعماله في النظم والنثر جميعـــاً، وحشدوا في كتبهم كثيرا من شواهد الكلمات التي خرجت عن الذوق اللفظي السليم.

الكلمات المفتاحية : ذوق ؛ أثر، سامع؛ مخاطب؛ التلقي.

الدكتورة

هدى الدرديري المبارك عبد القادر الخبير

أستاذ علم اللغة المساعد – كلية العلوم و الآداب بسراة عبيدة
جامعة الملك خالد ـ المملكة العربية السعودية
Email : habadalgader@kku.edu.sa

Abstract

Artistic taste and effects in the speaker and addressee An analytical insight into the receiving process

This research dealt with the issue of the importance of verbal savoring and its effects on the speaker and the listener. The problem of the research was represented by the researcher in some of the shortcomings in studies that dealt with the definition of verbal taste and highlight the importance and implications of the research and the aim of the research to demonstrate the concept of verbal taste beside to stand on the implications and followed the researcher in the study of the topic On the descriptive analytical method in order to come up with the desired results of the research ،and the structure of the research on the introduction and the researchers and the conclusion of the most important findings of the research ، taste instinctive power has the competence to recognize the range of speech and hidden advantages ،and get similar Needle on the lesson ،and the practice of the words of the imams of the book ،and repeated on hearing ،and discernment of the characteristics of its meanings and structures and good taste is the mayor in the knowledge of good words and distinguish the aspects of ugliness and manifestations of coercion and taste cannot become a legitimate means of knowledge that is valid for others ،unless reasoned reasons Mental ،artistic and psychological can suggest the same as we feel ،and in the use of beautiful words and good phrases breeding the tongue on the sentences and good words ،and explains the science of meanings must be matched to the

situation of listeners and the citizen in which it is said ،as you can see that saying is not eloquent ،however His picture up Suitable for the place where it was said ،and fits the case of listener who was delivered.The linguists and the stranger in their dictionaries and works were interested in showing what is used in systems and prose all and mobilized in their books a lot of evidence of words that came out of sound verbal taste.

Keywords: Savoring; Effect ،Hearer; Addressee; Receiving.

Dr.

Huda Dardiri Mubarak Abdul Kader expert

Assistant Professor of Linguistics, Faculty of Science and Arts, Sarat Ubaida King Khalid University, Saudi Arabia

Email : habadalgader@kku.edu.sa

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد...

فتعد اللغة – عامة– وسيلة التفاهم والتخاطب والتعبير عن ما تكنه النفس البشرية، وما يحمله الإنسان من عواطف ومشاعر تجاه الآخرين وتجاه الأشياء، و هي وعاء يستوعب العلوم، ويسهم في نقلها و تطويرها. و بفضلها توارثت الأمم حضارات غيرها، وأفادت من عِبَرِ الأحداث وما تفتقت عنه عقول العقلاء في كل فن وعلم. وخصت اللغة العربية من بين لغات العالمين بخصائص انفردت بها عن غيرها. و تجملت باقترانها بالقرآن الكريم فازدانت تأنقا و بلاغة جمالا على جمالها. و تغيرت كثير من اللغات واندرست أخرى، وهي ثابتة تطورا وازدهارا، تأثرت بالفصحاء في جمال تركيب الكلام وحسن البيان، وأثرت في البلغاء، فأمدتهم بأجمل الكلمات وأفصح الألفاظ، حتى وسعت كتاب الله لفظا و غاية. و في هذا البحث تناول لقضية: (الذوق الفني و آثاره في السامع و المخاطب رؤية تحليلية في عملية التلقي)

أهمية البحث:

و تتمثل فيما يأتي:

١- أهمية دراسة الذوق اللفظي و تأثيره الفاعل في النفوس البشرية خلقيا و تربويا، إذ له أثره في نقل المضامين المختلفة، التي لها أثرها البارز في السلوك اللغوي.

٢- دراسة هذه القضية يمثل كشفا لمنهج حسن الخطاب و آلياته سواء ما ارتبط باستخدام جميل الألفاظ، أو انتقاء أحسن العبارات، أو التعبير بأدق المعاني .

٣- مراعاة الذوق اللفظي وسيلة إصلاح وتوجيه لبناء الفضائل الخلقية والتعلق بها، والبعد عن الرذائل السلوكية وهجرها، فكم بيت من الشّعر، أو سطرٍ من النثر غرس في قلوب السامعين فضيلة وصدها عن رذيلة. و من ثم يمثل البحث منهجا وظيفيا و جماليا.

مشكلة البحث و تساؤلاته:

على الرغم من اعتناء العلماء واهتمامهم باللغة العربية وعلومها فإن البحث ارتكز على ملاحظة بعض القصور في الدراسات التي تناولت موضوع أهمية الذوق اللفظي والآثار المترتبة عليه؛ محاولة للإجابة على السؤال الآتي: ما أثر الذوق اللفظي في السامع و المخاطب ؟ ويتفرع من هذا السؤال الأسئلة الفرعية الآتية:

- ما المقصود بالذوق اللفظي ؟
- ما أهمية التعريف بالذوق اللفظي ؟
- ما وظيفة الذوق في اختيار الألفاظ ؟

منهج البحث :

اتبعت الباحث في دراسة الموضوع على المنهج الوصفي بأدواته المختلف خاصة الرصد و التحليل بغية الخروج بالنتائج المرجوة من البحث.

الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع البحث :

هناك بعض الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع البحث منها :

١/ دراسة عبد الرزاق بن فراج الصاعدي ، بعنوان : موت الألفاظ في ، مقال علمي منشور بمجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، السنة التاسعة والعشرون. العدد السابع بعد المائة. ١٤١٨/١٤١٩هـ .

٢/ دراسة خالد بن حامد الحازمي، بعنوان : الآثار التربوية لدراسة اللغة العربية، مقال علمي منشور بمجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد(١٢١)، السنة (٣٥) ١٤٢٤هـ.

٣/ دراسة عبد العال سالم مكرم، بعنوان: المشترك اللفظي في الحقل القرآني، نشر موسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ .

وتتفق هذه الدراسات السابقة مع هذا البحث في أن مدارها دراسة الألفاظ في العربية، وتختلف عنها في أنها تتركز على بيان أهمية الذوق اللفظي وآثاره في المتكلم و المخاطب.

هيكل البحث:

يقوم هيكل البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة على النحو التالي :

مقدمة : وتضمنت أهمية البحث: و مشكلته و تساؤلاته، ومنهجه، والدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع البحث، و هيكله.

المبحث الأول: **مفهوم الذوق اللفظي وأهميته و وسائله**، وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : مفهوم الذوق اللفظي .
- المطلب الثاني : أهمية الذوق اللفظي .

المبحث الثاني: **أثر الذوق اللفظي في المتكلم والمخاطب** ، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول : أثر الذوق اللفظي فى المتكلم .
- المطلب الثاني : أثر الذوق اللفظي في المخاطب.

الخاتمة : و تشتمل على نتائج البحث وتوصياته .

المبحث الأول: مفهوم الذوق اللفظي وأهميته ووسائله

المطلب الأول: مفهوم الذوق اللفظي

الذوق مصدر ذاق الشيء يذوقه، وذواقا ومذاقا[١]، وقيل : الذوق هو الحاسة يدرك بها طعم المأكل[٢]. والذوق في الاصطلاح : قوة غريزية لها اختصاص بإدراك لطائف الكلام ومحاسنه الخفية، وتحصل بالمثابرة على الدرس، وممارسة كلام أئمة الكتاب، وتكراره على السمع، والتفطن لخواص معانيه وتراكيبه – و أيضا تحصل بتنزيه العقل والقلب عما يفسد الآداب والأخلاق ، فغن ذلك من أقوى أسباب سلامة الذوق[٣].

جاء في التعريفات "الذوق": هي قوة منبثة من العصب المفروش على جرم اللسان تدرك بها الطعوم بمخالطة الرطوبة اللعابية في الفم بالمطعوم و وصولها إلى العصب، والذوق في معرفة الله : عبارة عن نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه، يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره "[٤].

---

(١) لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور المصري ، دار صادر بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٠م ١١١/١٠ .

(٢) تهذيب اللغة: الأزهري، أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ٢٠٠١م ٢٠٤/٩ .

(٣)التوقيف على مهمات التعاريف:محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر، بيروت،١٤١٠ه، ص١٧٢.

(٤) التعريفات: علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤٠٥هـ ، ص ١٠٧ .

والذوق في الأدب- و هو وجهتنا-: هو حاسة معنوية يصدر عنها، انبساط النفس أو انقباضها لدى النظر في أثر من آثار العاطفة أو الفكر، ويقال: هو حسن الذوق للشعر، فهّامة خبير بنقده.[١]

و اللفظ : أن ترمي بشيء كان في فيك والفعل لفظ الشيء يقال لفظت الشيء من فمي ألفظه لفظا رميته وذلك الشيء لفاظة[٢] .وقال الجرجاني في التعريفات : " اللفظ: ما يتلفظ به الإنسان أو من في حكمه، مهملًا كان أو مستعملًا."[٣] والذوق اللفظي -إذن-: هو حاسة معنوية يصدر عنها ما جمل من الألفاظ، وهجر ما قبح منها[٤].

وظيفة الذوق في اختيار الألفاظ :

يذكر العلماء أن (الذوق السليم) هو العمدة في معرفة حسن الكلمات وتمييز ما فيها من وجوه البشاعة ومظاهر الاستكراه، لأن الألفاظ أصوات، فالذي يطرب لصوت البلبل، وينفر من صوت البوم والغربان، ينبو سمعه عن الكلمة إذا كانت غريبة متنافرة الحروف - ألا ترى أن كلمتي (المزنة والديمة - السحابة الممطرة) كلتاهما سهلة عذبة يسكن إليهما السمع

(١) المعجم الوسيط : أحمد الزيات وآخرون تحت إشراف مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، نشر: دار الدعوة ٣١٨/١ .

(٢) لسان العرب ٤٦١/٧ .

(٣) التعريفات ص ١٩٢.

(٤) الآثار التربوية لدراسة اللغة العربية : خالد بن حامد الحازمي ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، العدد (١٢١) ، السنة (٣٥) بتاريخ ١٤٢٤هـ ص ٦٤ .

بخلاف كلمة (البعاق) التي في معناهما فإنها قبيحة تصك الأذن وأمثال ذلك كثير في مفردات اللغة تستطيع أن تدركه بذوقك[١] .

إن الذوق –وإن يكن من أعمق ملكاتنا البشرية في إدراك مواضع الجمال والقبح– لا يمكن أن يصبح وسيلة مشروعة للمعرفة التي تصح لدى الآخر إلا إذا علل بأسباب عقلية وفنية ونفسية تستطيع أن توحي بمثل ما نحس به[٢] .

يقول عبد القاهر الجرجاني:" وإذا قد عرفت أن مدار أمر النظم على معاني النحو وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه، فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها ونهاية لا تجد لها ازديادا بعدها، ثم اعلم أن ليست المزية بواجبة لها في أنفسها ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها مع بعض واستعمال بعضها مع بعض"، "وإنما سبيل هذه المعاني سبيل الأصباغ التي تعمل منها الصورة والنقوش، فكما أنك ترى الرجل قد تهدى في الأصباغ التي عمل منها الصورة، والنقش في ثوبه الذي نسج، إلى ضرب من التخير والتدبر في أنفس الأصباغ وفي مواضعه ومقاديرها وكيفية مزجه لها وترتيبه إياها إلى ما لم يهتد إليه صاحبه، فجاء

---

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع : أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي ، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي ، المكتبة العصرية، بيروت ص٤٣ .

(٢) في الميزان الجديد : محمد مندور ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى يناير ٢٠٠٤م ، ص٧٨ .

نقشه من أجل ذلك أعجب وصورته أغرب، كذلك حال الكاتب والشاعر في توخيهما معاني النحو ووجوهه التي علمت أنها محصول النظم"[١] .

جهود العلماء في بيان علاقات الألفاظ بمعانيها :

قضية اللفظ والمعنى من القضايا التي حظيت باهتمام كبير في التراث الفكري العربي، وكانت محورا لدراسات مختلفة شملت مجالات التفسير والفقه والفلسفة والأدب والنقد وغيرها. وقد اتخذت هذه الدراسات، بصفة عامة، مسارين مترابطين، مسارا نظريا وآخر تطبيقيا[٢].

فأما المسار النظري فقد اهتم بقضايا العلاقات الدلالية بين المفردات وتمخض عن بحوث في الترادف والتضاد والاشتراك، وأقسام الدلالة، وتخصيص الألفاظ وتعميمها، واستخدامها حقيقة أو مجازا، وغيرها، كما يظهر ذلك –على سبيل المثال– عند ابن جني (ت ٣٩٢هـ) في"الخصائص"، وابن فارس (ت ٣٩٥هـ) في "الصاحبي في فقه اللغة"، والثعالبي (ت ٤٢٩ه) في "فقه اللغة وسر العربية"، والسيوطي (ت٩١١هـ) في"المزهر في علوم اللغة".

ويتجلى المنهج النظري في دراسة اللفظ والمعنى –أيضا– لدى البلاغيين. فعلم البلاغة يعد "جهازا نظريا" لدراسة المعنى في الكلام، وربما

---

(١) دلائل الإعجاز في علم المعاني : أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر ، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة ، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م ص ٨٧ .

(٢) الدلالة عند العرب : عبد الكريم مجاهد ، عمان،الأردن، ١٩٨٥م ص ١٠-١١.

يتميز عن بقية العلوم بالنظر الأشمل والأكمل في المعنى وأساليب أدائه وما قد يحف به من سياقات ومقتضيات أحوال .

ويضع الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، على سبيل المثال، هذا العلم في قمة الإحاطة اللغوية، حيث يرى فيه الأصل القويم في معرفة تفسير كتاب الله. فلا يصل في رأيه إلى حقائق التفسير: "إلا رجل برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعاني وعلم البيان، وتمهل في ارتيادهما آونة ونصب في التنقير عنهما أزمنة."[(١)] وأما المسار التطبيقي فيشمل الأعمال المعجمية التي بدأت في شكل رسائل لغوية في غريب القرآن والحديث، ومعاني الألفاظ الفقهية، وغيرها، ثم تطورت هذه الدراسات لتنتج كنوزا من المعاجم الشاملة للمفردات والموضوعات، كما يظهر ذلك -على سبيل المثال- في أعمال الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) في "معجم العين"، وابن دريد(ت ٣٢١هـ) في "الجمهرة"، و الأزهري (ت ٣٧٠هـ) في "التهذيب"، والجوهري (ت ٣٩٣هـ) في "الصحاح" وابن فارس (ت ٣٩٥هـ) في "معجم مقاييس اللغة"، ، وابن منظور (ت ٧١١هـ)، في "لسان العرب"، والفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ) في "القاموس المحيط"[(٢)].

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ ١٦/١.

(٢) المشترك اللفظي وترجمة معاني القرآن الكريم : المولودي بن إسماعيل عزيز ، الكتاب منشور على موقع المكتبة الشاملة بدون بيانات http://www.shamela.ws ص ٤ .

ويتجلى المسار التطبيقي –أيضا– في جهود علماء أصول الفقه، الذين يعدون من أوائل الباحثين في علاقات الألفاظ بمعانيها؛ لأنها مناط أحكامهم. فهم يركزون في عملهم على الأدلة الشرعية أو المبادئ، التي يقوم عليها التشريع من جهة، وعلى الأدلة اللغوية أو معرفة معاني الألفاظ العربية لمعرفة مقاصد الكتاب والسنة من جهة أخرى. وفي هذا الصدد يقول الآمدي: "وأما غاية علم الأصول، فالوصول إلى معرفة الأحكام الشرعية التي هي مناط السعادة الدنيوية والأخروية. وأما مسائله فهي أحوال الأدلة المبحوث عنها فيه مما عرفناه، وأما ما منه استمداده فعلم الكلام، والعربية والأحكام الشرعية"(١) .

ومن هنا كان اهتمام علماء الأصول الكبير باللفظ فتتبعوه "مفردا ومركبا مطلقا ومقيدا، خاصا وعاما، أمرا ونهيا، حقيقة ومجازا، وفصلوا القول في المعنى من حيث ظهوره وخفاؤه وكيف نتعرف المقصود منه، وسجلوا أدق الفروق بملاحظتهم مراتب المعاني في الألفاظ، ووضعوا القواعد لفهم النصوص واستنباط الأحكام منها"(٢).

وفي إطار محور المفاضلة بين اللفظ والمعنى ، الذي ساد البحث البلاغي والنقدي على وجه الخصوص، يقدم الأصوليون المعنى على اللفظ. فهذا الأخير في رأي الشاطبي مثلا: "هو الوسيلة إلى تحصيل المعنى المراد، والمعنى هو المقصود"(٣).

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام : سيف الدين أبو الحسن الآمدي ، مطبعة محمد علي صبيح، القاهرة، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٨م ٦/١.

(٢) الدلالة اللغوية عند العرب ص ٢١-٢٢.

(٣) الموافقات في أصول الأحكام : إبراهيم بن موسى الشاطبي، تعليق محمد الخضر حسين، تصحيح محمد منير، المطبعة السلفية- القاهرة، ١٣٤١هـ، ٥٧/٢ .

المطلب الثاني: أهمية الذوق اللفظي

تعد الكلمة الطيبة الجميلة ذات الألفاظ البديعة مدخلا لقلوب السامعين وجمالا لألسنة المتحدثين، تكسبهم إعجاب ومحبة الآخرين، وهي لا تقل عن الفعل القويم أثرا، جاء في الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- (أنه قدم رجلان من المشرق فخطبا، فعجب الناس لبيانهما، فقال رسول الله- ﷺ-: إن من البيان لسحرا، أو إن بعض البيان سحرٌ.)[١] قال ابن حجر:"وقد اتفق العلماء على مدح الإيجاز والإتيان بالمعاني الكثيرة بالألفاظ اليسيرة"[٢].

و لعل في استخدام الألفاظ الجميلة والعبارات الطيبة الحسنة تربية اللسان على ما جمل وحسن من الألفاظ، فلا يألف المرء إلا الكلمات التي تجلب خيرا وتدفع شرا ، كما أن لنا في كلام رسول الله -ﷺ- القدوة الحسنة والأسوة المباركة. حيث تحدث بأحسن العبارات لفظا، وأوضحها معنا، وأقواها دلالة، اشتملت على إيجاز في غير إعجاز، ووضوحا في غير إطناب، فقد أعطي جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم.

يقول ابن الأثير في بيان أهمية اللفظ: " فإن اللفظة الواحدة قد تنتقل من هيئة إلى هيئة، أو من صفة إلى صفة، فتنتقل من القبح إلى الحسن

---

(١) الجامع الصحيح [سنن الترمذي] : محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ٢٠٠/٤ حديث ٢٠٢٨ .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، دار المعرفة - بيروت ، ١٣٧٩هـ ٢٣٨/١٠ .

وبالعكس فيصير القبيح حسنا، والحسن قبيحا، والمرجع في ذلك إلى الذوق الصحيح والطبع السليم"[١] .

وأعجب من ذلك أنك ترى اللفظة الواحدة تروقك في كلام، ثم تراها في كلام آخر فتكرهها؛ وقد جاءت لفظة في آي القرآن الكريم بهجة رائقة، ثم جاءت تلك اللفظة بعينها في كلام آخر فجاءت ركيكة نابية عن الذوق، بعيدة من الاستحسان؛ فمن ذلك لفظة يؤذي فإنها وردت في قوله –تعالى–: {إِنَّ ذلِكُمْ كانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيي مِنَ الْحَق }[٢] فجاءت في غاية الحسن ونهاية الطلاوة، ووردت في قول أبي الطيب:

تلذّ له المروءة وهي تؤذى ∴ ومن يعشق يلذّ له الغرام[٣]

فجاءت رثّة مستهجنة، وإن كان البيت من أبيات المعاني الشريفة، وذلك لقوّة تركيبها في الآية وضعف تركيبها في بيت الشعر؛ والسبب في ذلك أن لفظة تؤذي إنما تحسن في الكلام إذا كانت مندرجة مع ما يأتي بعدها، متعلقة به كما في الآية الكريمة حيث قال: { إِنَّ ذلِكُمْ كانَ يُؤْذِي النَّبِيَ} وفي بيت المتنبي جاءت منقطعة ليس بعدها شيء تتعلق به حيث قال: لذّ له المروءة وهي تؤذى ، ثم استأنف كلاما آخر فقال : ومن يعشق يلذّ له الغرام

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية للنشر – بيروت ، ١٤٢٠ هـ ١/٢٧٤ .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية ٥٣ .

(٣) ديوان المتنبي شرح أبي البقاء العكبري ، تحقيق مصطفى السقا وزملائه ، مطبعة مصطفى الحلبي ١٣٩١هـ ٤/٧٥.

وقد جاءت هذه اللفظة بعينها في الحديث النبويّ مضافة إلى كاف خطاب فأخذت من المحاسن بزمامها، وأحاطت من الطّلاوة بأطرافها؛ وذلك أنه لما اشتكى النبي –صلّى الله عليه وسلّم– جاءه جبريل فرقاه فقال: «بسم الله أرقيك من كلّ داء يؤذيك»(١) فصارت إلى الحسن بزيادة حرف واحد، وهذا من السّرّ الخفي الذي يدقّ فهمه (٢) .

ويرى ابن الأثير أن الحاكم في اختيار اللفظ الذوق السليم دون غيره، وعلى الجملة فلا نزاع في أن تركيب الألفاظ يعطي الكلام من القوّة والضّعف ما تزيد به قيمة الألفاظ الفصيحة، ويرتفع به قدرها، أو يحطّ مقدارها عن درجة الفصاحة والحسن إلى رتبة القبح والاستهجان(٣) .

وليس للفظ المفرد أهمية ذاتية مهما بلغ من انسجام في حروفه، وحسن وقعه وجرسه، وإنما تبدو أهميته حين ينتظم مع غيره، ويتلاءم مع ما يجاوره ويتوافق معه.. والأداء العربي لا يمكن أن يتحقق إلا لمن كان عارفا بالطرائق الصحيحة في القول، متمرسا بالأساليب العربية الرفيعة، مزودا بالمعرفة النحوية عن طريق الذوق والمعايشة لما تزخر به العربية من روائع القول(٤).

---

(١) الجامع الصحيح [سنن الترمذي] ١٢٢/٣ حديث ٩٧٢ .

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء : أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ٢٨٣/٢ .

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ٢٥/١ .

(٤) رسالة في تحقيق معنى النظم والصياغة : أحمد بن سليمان بن كمال باشا، شمس الدين تحقيق حامد قنيبي ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، العددان٧١، ٧٢ السنة ١٨رجب–ذو الحجة ١٤٠٦هـ ص ١٧٨ .

ضرورة اختيار اللفظ :

قال ابن قتيبة : " ونستحبُّ له أيضا أن يُنَزّل ألفاظه في كتبه فيجعلها على قدر الكاتب والمكتوب إليه، وأن لا يعطيَ خسيس الناس رفيع الكلام، ولا رفيع الناس وضيعَ الكلام "[١] .

إن مباحث علم المعاني من شأنها أن تبين لنا وجوب مطابقة الكلام لحال السامعين والمواطن التي يقال فيها، كما ترينا أن القول لا يكون بليغا كيفما كانت صورته حتى يلائم المقام الذي قيل فيه، ويناسب حال السامع الذي ألقي عليه[٢].

وتتمثل مطابقة الكلام لمقتضى الحال أيضا فيما يتصرف فيه القائل من إيجاز وإطناب، حيث لكل من الإيجاز والإطناب مقاماته التي تقتضيها حال السامع ومواطن القول، فالذكي الذي تكفيه اللمحة أو الإشارة يحسن له الإيجاز، والغبي أو المكابر يجمل عند خطابه الإطناب في القول. فالبلاغة تقتضي استخدام الإيجاز مع الذكي اعتمادا على سرعة فهمه وقدرته على استيعاب ما تحمله الألفاظ القليلة من المعاني الكثيرة، وكذلك الشأن بالنسبة لأسلوب الإطناب، فبلاغته تستلزم الإسهاب بالشرح والإيضاح، إما طلبا

---

(١) أدب الكاتب: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، تحقيق: محمد الدالي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ص ١٨ .

(٢) علم المعاني : عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م ص ٣٧ .

لتمكين المخاطب من الفهم إن كان غبيا، وإما لتنزيله منزلة قصار العقول إن كان قد تجاوز الحد في المكابرة والعناد[١].

من شواهد الكلمات التي خرجت عن الذوق اللفظي :

أورد ابن الأثير في كتابه «المثل السائر»[٢] في " ما يعاب استعماله في النظم والنثر جميعا " ما يلي : الناس في قبح استعماله (أي اللفظ القبيح) سواء، لا يختلف فيه عربيّ باد، ولا قرويّ متحضّر. قال: وليس وراءه في القبح درجة أخرى ولا يستعمله إلا أجهل الناس ممن لم يخطر بباله شيء من معرفة هذا الفنّ أصلا وهو ما مجّه سمعك، ونبا عنه لسانك؛ وثقل عليك النطق به؛ على أنه قد وقع منه ألفاظ لبعض الشعراء المفلقين من العرب والمحدثين ، فمن ذلك لفظ " الجحيش" في قول تأبط شرّا من أبيات الحماسة :

يظلّ بموماة ويمسى بغيرها ∴ جحيشا ويعروري ظهور المسالك[٣]

فإن لفظه (جحيش) من الألفاظ المنكرة القبيحة، قال ابن الأثير : ويالله العجب! أليس أنها بمعنى فريد؟ وفريد لفظة حسنة رائقة، لو وضعت في هذا البيت موضع جحيش لما اختل شيء من وزنه، فتأبط شرّا ملوم من

(١) علم المعاني ص٣٩ .

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ١٦٧/١ .

(٣) شرح ديوان الحماسة (ديوان الحماسة: اختاره أبو تمام حبيب بن أوس) : يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا ، نشر دار القلم – بيروت ص٢٢ .

وجهين: أحدهما استعماله القبيح، والثاني أنه كانت له مندوحة عن استعماله فلم يعدل عنها[١] .

وأستقبح العلماء أيضا لفظ " اطلخمّ " في قول أبي تمّام:

قد قلت لما اطلخمّ الأمر وانبعثت ∴ عشواء تالية غبسا دهاريسا[٢]

فإن لفظ "اطلخمّ" من الألفاظ المنكرة التي جمعت الوصفين القبيحين: من أنها غريبة، وأنها غليظة في السمع، كريهة على الذّوق، وكذلك لفظة "دهاريس" في آخر البيت المذكور[٣]

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ١٦٨/١ .

(٢) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي: تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية ص ٧١٧ ، وهو من قصيدة يمدح بها عياش بن لهيعة ، واطلخم: أي اشت وعظم، والعشواء الليلة المظلمة، والغبسة جمع اغبس وغبسا: وهي الشديدة الظلام مثلها والدهاريس جمع دهريس وهي الدواهي .

(٣) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ٢٣٧/٢ .

المبحث الثاني: أثر الذوق اللفظي في المتكلم و المخاطب

المطلب الأول: أثر الذوق اللفظي في المتكلم

الكلام مقدرة خص الله بها الإنسان، للتعبير عما في نفسه من مطالب ورغبات وحقائق وتصورات، وعواطف وانفعالات، وبها يكون الاتصال والتفاهم وتبادل الآراء والتعرف على وجهات النظر والحقائق والأفكار بين الإنسان وغيره من الناس وطريقة الكلام، ونوعيته، والمقصود منه، ودرجته، وأثره... أمور يتوقف كل منها على المتكلم: عقليته، وبيئته، وظروفه، وأحواله، وثقافته، وثروته اللغوية، وقدرته اللسانية. والكلام من حيث الألفاظ ، ومدلولاتها، واستعمالاتها، واختيارها، ووضعها في أماكنها ورصفها في جمل وعبارات، بعضها مع بعض، يأتي على درجات متعددة، تتفاوت صحة ودقة وتأثيرًا[١] .

وفي تعود اللسان على ما حسن من الألفاظ وقوي، تمكين لصاحبه في التنقل بين حديقة الكلمات الغناء، وتسعفه بأحسن العبارات وأجمل الألفاظ ، وهذا ينعكس على سامعيه ومجالسيه، فتجده بينهم محبوب ولكلامه قبول، ولفكرته مستمعون، وأما صاحب الألفاظ البذيئة، فتجده لم يألف لسانه إلا أرذل الألفاظ وأبخسها، فإذا تحدث كان الناس عنه لاهون ولفكرته غير منتبهين يسأم منه جليسه ويئد فكرته بألفاظه، وسوء عباراته .

وقد شدّد العلماء في ضرورة اختيار الألفاظ ومراعاة الذوق في مخاطبة الناس وما إلى ذلك مما ورد في باب (تهذيب الكلام) ، فقد جاء

---

(١) في تاريخ الأدب الجاهلي : علي الجندي ، مكتبة دار التراث ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م ص ٢٥٣ .

في جواهر الأدب : " تهذيب الكلام عبارة عن ترداد النظر فيه بعد عمله نظما كان أو نثرا وتغيير ما يجب تغييره وحذف ما ينبغي حذفه وإصلاح ما يتعين إصلاحه وتحرير ما يدق من معانيه وإطراح ما يتجافى عن مضاجع الرقة من غليظ ألفاظه لتشرق شموس التهذيب في سماء بلاغته وترشف الأسماع على الطرب رقيق سلافته. فإن الكلام إذا كان موصوفا بالمهذب منعوتا بالمنقح علت رتبته وإن كانت معانيه غير مبتكرة. وكل كلام قيل فيه : لو كان موضع هذه الكلمة غيرها ولو تقدم هذا المتأخر وتأخر هذا المتقدم ، أو لو تمم هذا النقص بكذا ، تكمل هذا الوصف بكذا. أو لو حذفت هذه اللفظة أو لو اتضح هذا المقصد وسهل هذا المطلب لكان الكلام أحسن والمعنى أبين. كان ذلك الكلام غير منتظم في نوع التهذيب[١] .

فصاحة الألفاظ ومطابقتها للمعاني :

فصاحة الألفاظ تكون بثلاثة أوجه[٢]:الأول مجانبة الغريب الوحشي حتى لا يمجه سمع ولا ينفر منه طبع، والثاني تنكب اللفظ المبتذل والعدول عن الكلام المسترذل حتى لا يستسقطه خاصي ولا ينبو عنه فهم عامي كما قال الجاحظ ": أما أنا فلم أر قوما أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب وذلك أنهم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا ولا ساقطا عاميا"[٣] .

---

(١) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب : أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي ، اشرفت على تحقيقه وتصحيحه: لجنة من الجامعيين ، مؤسسة المعارف، بيروت ٢٧/١ .

(٢) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ٢٩/١ .

(٣) البيان والتبيين : عمرو بن بحر ، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣ هـ ١٣٠/١ .

والثالث أن يكون بين الألفاظ ومعانيها مناسبة ومطابقة، أما المطابقة فهي أن تكون الألفاظ كالقوالب لمعانيها فلا تزيد عليها ولا تنقص عنها. وأما المناسبة فهي أن يكون المعنى يليق ببعض الألفاظ إما لعرف مستعمل أو لاتفاق مستحسن حتى إذا ذكرت تلك المعاني بغير تلك الألفاظ كانت نافرة عنها وإن كانت أفصح وأوضح لاعتياد ما سواها(١).

وقد أورد العلماء الكثير من الشواهد في تأثير حسن اختيار اللفظ في المتكلم ، قال الزمخشري : "إن الطيش في الكلام يترجم عن خفة الأحلام وما دخل الرفق شيئا إلا زانه وما زان المتكلم إلا الرزانة "(٢) . ويجب على المتكلم أن يوازن بين المعاني وأقدار المستمعين وأقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما(٣) .

يقول ابن الأثير الكاتب : " واعلم أن المعنى هو عماد اللفظ، واللفظ هو زينة المعنى ، والمعاني بمنزلة الأرواح، والألفاظ بمنزلة الأجساد، فأول ما يجب على المتكلم أن لا يؤلف كلامه من ألفاظ رديئة ، ثم إن ألفه من ألفاظ جيدة حسنة، فإنه لا يكون لها مزية ورونق إلا بإيداعها معنى شريفا

(١) أدب الدنيا والدين : أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري الماوردي ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٨٦م ص ٢٨١

(٢) أطواق الذهب في المواعظ والخطب (كتاب المقالات) : أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ، مطبعة نخبة الأخبار ١٣٠٤هـ ص ٢٨ .

(٣) البيان والتبيين ١٨/١ .

واضحا؛ لأن الألفاظ لا تراد لنفسها، وإنما تجعل أدلة على المعاني، فإذا عدمت الذي يراد منها لم يعتد لها بالأوصاف التي تكون لها "[١] .

ويرى الجاحظ أن الكلام البليغ ليس هو الكلام الموجز وليس الكلام المسهب بل الكلام المساوي للمعاني « وإنما الألفاظ على أقدار المعاني فكثيرها لكثيرها، وقليلها لقليلها، وشريفها لشريفها، وسخيفها لسخيفها، والمعاني المصغرة البائنة بصورها وجهاتها تحتاج من الألفاظ إلى أقل ما تحتاج إليه المعاني المشتركة والجهات الملتبسة»[٢] .

ويقول ابن وهب الكاتب :" وليس شيء أعون على جزالة الكلام، وخروجه عن تحريف العوام من مجالسة الأدباء ، ومعاشرة الفصحاء، وحفظ أشعار العرب ومناقلاتهم، والمختار من رسائل المولدين الأدباء ومكاتباتهم، ولذلك كانت ملوك بني أمية يخرجون أولادهم إلى البوادي لينشئوهم على الفصاحة، وجزالة الألفاظ. وله –أيضا– علم الناس أولادهم الرسائل، ورووهم شعر القدماء، وحفظوهم القرآن، وأمروهم بتحقيقه، ورفع أصواتهم بالقراءة والإنشاد، ليعتادوا الكلام الجزل، وتتفتق به لهواتهم وتذل به ألسنتهم، وتتشكل بتلك الأشكال ألفاظهم، فإن الخلق يأتي دون الخلق والعادة كالطبيعة، ولا شيء أفسد للكلام، ولا أضر على المتكلم، ولا أعون

(١) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور : نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب ، تحقيق : مصطفى جواد ، مطبعة المجمع العلمي ١٣٧٥هـ ص ٢١ .

(٢) البيان والتبيين ١٨/١ .

على سخافة اللفظ من معاشرة أضداد من ذكرنا، وطول ملابستهم، واستماع قولهم، فينبغي لمن أراد تجنب الكلام السخيف، ولزوم الجـزل للشـريف أن يتقي معاشرة من يفسد بمعاشرته بيانه ، كما ينبغي أن يلزم معاشـرة مـن تصلح معاشرته لسانه "[١] .

فالذوق اللفظي يحتم على المتكلم ضرورة اختيار الألفظ ومراعاة حال السامعين، وقد حث النبي ﷺ- و هو أفصح الناس قاطبـة - علـى أهميـة مخاطبة الناس على قدر عقولهم .

(١) البرهان في وجوه البيان : أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهـب الكاتـب تحقيق: حفني محمد شرف ، مكتبة الشباب (القاهرة) ، مطبعة الرسـالة ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م ص ٢٠١ .

المطلب الثاني : أثر الذوق اللفظي في المخاطب

لجمال الألفاظ وحسن اختيارها آثار عظيمة تنعكس على صاحبها وعلى مستمعيه، بعضها مباشر الأثر وبعضها مكنون الأثر، و أهم ما جاء في تأثير اختيار اللفظ في نفس السامع[١] المخاطب ما يأتي:

١- الإصغاء للكلمة الجميلة :

الكلمة الجميلة تأسر مستمعها، وتجعله يتابع أحداث معانيها ودلالاتها في تفاعل وتأثر؛ لأنها تجذب عواطفه وتأخذ بألبابه، فذاك عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- تقدم عليه وفود أهل البلدان، فيتقدم إليه وفد أهل الحجاز، فاشرأب منهم غلام للكلام فقال عمر: " يا غلام ليتكلم من هو أسن منك" ، فقال الغلام: يا أمير المؤمنين! إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فإذا منح الله عبده لسانا لافظا وقلبا حافظا، فقد أجاد له الاختيار، ولو أن الأمور بالسن لكان -هاهنا- من هو أحق بمجلسك منك، فقال: عمر صدقت، تكلم؛ فهذا السحر الحلال! .." [٢] .

فتأمل كيف أثرت الفكرة الجميلة باللفظ البديع في عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله عنه، وأصغى إلى الغلام حتى انتهى من كلامه وبيانه، وكيف تقدم هذا الغلام على أقرانه وكبراء قومه؟ وكأنه كبيرهم الذي لا يعقد رأي بدونه.

---

(١) الآثار التربوية لدراسة اللغة العربية ص٦٥ .

(٢) زهر الأداب : إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري القيرواني ، دار الجيل، بيروت ١/٤٠ .

ولنا في القرآن الكريم- في أثره في سامعيه-منهجا قويما، في عذوبة ألفاظه، وجزالة عباراته، وفصاحة بيانه، وحلاوة تراكيب ألفاظه حتى قال عنه أحد أعدائه الوليد بن المغيرة، عندما قال له قومه: "قل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له وأنك كاره له، قال الوليد: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه، ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذه، والله إن لقوله الذي يقول: حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، ومغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته" (١).

ولكي يحدث الأثر اللفظي من حيث الإصغاء للفظ واللغة الجميلة، فلا بد من معالجة خوارمها من التقعر في الألفاظ واللحن في الكلام، فإنه يبعد عن الإصغاء وينفر من متابعة الكلام(٢) .

٢- التفاعل العاطفي:

كما تتفاعل العواطف مع الأحداث السارة والأحداث المؤلمة، فتبغض وتحب وتكرة وتميل، فإنها تتفاعل -أيضا- مع الكلمات والألفاظ العذبة، بل ربما كان صور تلك العبارات الأدبية الجميلة أكثر تأثيرا من واقع الأحداث،

---

(١) شعب الإيمان : أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ ، ١٥٦/١ حديث ١٣٤ .

(٢) الآثار التربوية لدراسة اللغة العربية ص٦٧ .

فتتأثر لها القلوب وتتفاعل معها النفوس، فتأمل قول البحتري في وصف بركة واسعة وكأنها أجمل من البحر والأنهار[١] :

يا من رأى البركة الحسناء رؤيتها	∴	والآنسات إذا لاحت مغانيها
يحسبها أنها من فضل رتبتها	∴	تعد واحدة والبحر ثانيها
ما بال دجلة كالغير تنافسها	∴	في الحسن طورا وأطوارا تباهيها
كأنما الفضة البيضاء سائلة	∴	من السبائك تجري في مجاريها
إذا علتها الصبا أبدت لها حبكا	∴	مثل الجواشن مصقولا حواشيها
فرونق الشمس أحيانا يضاحكها	∴	وريق الغيث أحيانا يباكيها
إذا النجوم تراءت في جوانبها	∴	ليلا حسبت سماءً ركبت فيها
لا يبلغ السمك المحصور غايتها	∴	لبعد ما بين قاصيها ودانيها

فهذا الوصف الأدبي الجميل يجعل قارئ القصيدة كأنه ينظر إلى تلك البركة المملوءة ماءً، وقد بلغت من حسنها وفضل رتبتها أنها الأولى والبحر ثانيها، وقد نافسها نهر دجلة المتدفق بمائه العذب كغيرة النساء فيما بينهن، وشبه جمال الماء وتلألؤه بالفضة ناصعة البياض، تجري في مصباتها، وأما الليل فانعكاس السماء بنجومها المتلألئة في سعة مائها يخيل للناظر أن السماء قد ركبت فيها.

(١) ديوان البحتري : تحقيق حسن كامل الصيرفى. دار المعارف بمصر-الطبعة الثانية ١٩٧٢ م ٤/٢٤١٤ .

وفي صورة أخرى من التفاعل العاطفي للكلمة أن دخل المختار بن أبي عبيدة على معاوية وكانت عليه عباءة رثة، فاستحقره، فقال له المختار: يا أمير المؤمنين إن العباءة لا تكلمك! ولكن يكلمك من فيها، وأنشد:

أما وإن كان أثوابي ملفقة ∴ ليست بخزٍ ولا من نسج كتان

فإن في المجد هماتي وفي لغتي ∴ فصاحة ولساني غير لحان[١]

فيلاحظ الأثر التربوي للألفاظ والمعاني التي خالف بها المخبر المظهر فتفاعلت معها أحاسيس قارئها وكأنه ينظر إلى ذلك الموقف ويعايشه، بل يجد عطفا وتفاعلا مع ذلك الرجل رث الثياب ذرب اللسان، حتى ليخيّل للمرء أنه لن يبالي بثيابه قدر ما يهتم بمخبره ولسانه[٢].

٣- التفاعل العقلي والسلوكي:

إن بلاغة التصوير اللفظي للأشياء تشد ذهن المستمع أو القارئ لترتسم مكونات الأحداث في عقل المرء، كأنه يشاهدها فتتجاذب لذلك الألباب والعواطف في تفاعل، يُحدث لدى الفرد آثارا تربوية تظهر في سلوكه وتجاذبه مع الحدث نتيجة ما سمع ، فكم نسمع من كلمات أدبية وقصائد شعرية تصف آلام الأمة في أقصى الكرة الأرضية، ونحن لم نشاهدها عيانا فتتفاعل لها العقول كأنها تشاهد تلك الأحداث وتعايشها، فيجول فكر المرء

(١) غرر الخصائص الواضحة: أبو إسحق برهان الدين محمد بن علي المعروف بالوطواط ، ضبطه وصححه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م ص ٢٤٠ .

(٢) الآثار التربوية لدراسة اللغة العربية ص ٦٩ .

في جوانبها وربما تصور حلولا، وهو في منأى عن مواقعها. حتى ليدفع المرء أغلى وأحسن ما يستطيع لتأثره بصورة بلاغية عن أحداث مؤلمة[١].

ومن صور الألفاظ البديعة التي تجعل المرء يقف ويفكر في سرعة البديهة وحضور الجواب، والقدرة على صياغة العبارات موقف امرأة وحسن جوابها مع المهدي، فقد قيل: (وقف المهدي على امرأة من بني ثعل، فقال لها: ممن العجوز قالت: من طيء، قال: ما منع طيا أن يكون فيها آخر مثل حاتم؟ قالت: الذي منع العرب أن يكون فيها آخر مثلك) [٢] .

ولهذا الموقف الأثر التربوي الفاعل الذي يربي في المستمع بتكرار أمثاله حسن الجواب وسرعة البديهة، لما اشتملت عليه المحاورة من تسخير الكلمات والألفاظ لخدمة الأفكار، وربما أحجم البعض عن إيضاح الأفكار العظام التي يهتز لها أولى الألباب لضعف القدرة على تركيب الألفاظ وحسن البيان. فالتفاعل السلوكي وليد التأثير اللفظي في الجانب العقلي كحال التأثير الفعلي. فالكلمة الزكية أواللفظ الجميل يأسر الألباب، ويحرك العقول لتؤثر في العواطف الانفعالية، فيظهر السلوك في الصورة والهيئة المناسبة مع وقع الكلمات المؤثرة والصياغة الجميلة. قال عمر بن عبد العزيز: "إن الرجل ليكلمني في الحاجة يستوجبها فيلحن فأرده عنها، وكأني أقضم حب الرمان الحامض لبغض استماع اللحن، ويكلمني آخر في الحاجة لا

---

(١) المرجع السابق ص ٧١ .

(٢) المحاسن والأضداد : عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان الجاحظ ، دار ومكتبة الهلال بيروت ١٤٢٣ هـ ، ص ٢١ .

يستوجبها، فيعرب فأجيبه إليها التذاذا لما أسمع من كلامه، وقال: أكاد أضرس إذا سمعت اللحن"[١] .

٤- تربية الذوق اللفظي وترسيخ المعاني:

لاستماع وقراءة الكلمات والعبارات والقصائد والنثر الأدبي الجميل أثر في حس المستمع والقارئ إذ تغرس فيه تذوق الكلمات واستشعار جمال مبانيها ومحسناتها البديعية، وتراكيبها اللغوية، بما شملته من جناس وطباق وتشبيه حتى يألف حسه تلك الجمل والعبارات فينمو ذوقه اللغوي كما ينمو ذوقه الفكري[٢] .

ففي التعود على الألفاظ الجميلة وتربية اللسان عليها أثر عظيم الفائدة على المستمع أو القارئ؛ ذلك أن المتكلم يسحر الألباب بعذوبة ألفاظه وحسن بلاغته وجمال تراكيب كلامه، وقد كان للسلف عناية باللغة وألفاظها، فعن يونس بن عبد الأعلى، قال: " ما كان الشافعي إلا ساحرا ما كنا ندري ما يقول إذا قعدنا حوله كأن ألفاظه سكر، وكأن قد أوتي عذوبة منطق وحسن بلاغة، وفرط ذكاء وسيلان ذهن، وكمال فصاحة وحضور حجة"[٣] .

فتأمل موقع الكلمة وقدرها في هذا الوصف الجميل لألفاظ وكلام الإمام الشافعي وما أحدثته عند سامعيه.

---

(١) الملاحن (مطبوع ضمن «درة الغواص وشرحها وحواشيها وتكملتها»): أبو بكر محمد بن الحسن ابن دريد الأزدي ، تحقيق: عبد الحفيظ فرغلي علي قرني ، دار الجيل، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م ص ٧٢ .

(٢) الآثار التربوية لدراسة اللغة العربية ص ٧٣ .

(٣) سير أعلام النبلاء : محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ ٤٨/١٠ .

الخاتمة و النتائج:

في ختام هذا البحث تورد الباحثة ملخصا لأهم النتائج التي توصلت إليها فيما يلي :

- الذوق قوة غريزية لها اختصاص بادراك لطائف الكلام ومحاسنه الخفية، وتحصل بالمثابرة و التمرس بكلام أئمة الكتب، وتكراره على السمع والتفطن لخواص معانيه وتراكيبه .
- الذوق السليم عمدة معرفة حسن الكلمات وتمييز ما فيها من وجوه البشاعة ومظاهر الاستكراه ولا يمكن للذوق أن يصبح وسيلة مشروعة للمعرفة التي تصح لدى الغير، إلا إذا علل بأسباب عقلية وفنية ونفسية تستطيع أن توحي بمثل ما نحس به .
- اهتم المسار النظري لدراسة (اللفظ والمعنى) بقضايا العلاقات الدلالية بين المفردات، وتمخض عن بحوث في الترادف والتضاد والاشتراك ، وأقسام الدلالة وتخصيص الألفاظ وتعميمها ، واستخدامها حقيقة أو مجازا، وغيرها .
- ظهر المسار التطبيقي في قضية (اللفظ والمعنى) في مجال الأعمال المعجمية التي بدأت في شكل رسائل لغوية في غريب القرآن والحديث، ومعاني الألفاظ الفقهية، وغيرها، ثم تطورت هذه الدراسات لتنتج كنوزا من المعاجم الشاملة للمفردات والموضوعات.
- في إطار محور المفاضلة بين اللفظ والمعنى والتي سادت المبحث البلاغي والنقدي على وجه الخصوص، يقدم الأصوليون المعنى على اللفظ. فليس للفظ المفرد أهمية ذاتية مهما بلغ من انسجام في حروفه، وحسن وقعه

وجرسه، وإنما تبدو أهميته حين ينتظم مع غيره، ويتلاءم مع ما يجاوره ويتوافق معه .

- في استخدام الألفاظ الجميلة والعبارات الطيبة الحسنة تربية اللسان على ما جمل وحسن من الألفاظ ، وتبين مباحث علم المعاني وجوب مطابقة الكلام لحال السامعين والمواطن التي يقال فيها، كما ترينا أن القول لا يكون بليغا كيفما كانت صورته حتى يلائم المقام الذي قيل فيه، ويناسب حال السامع الذي ألقي عليه .
- اهتم علماء اللغة والغريب في معاجمهم ومصنفاتهم ببيان ما يعاب استعماله في النظم والنثر جميعا وحشدوا في كتبهم الكثير من شواهد الكلمات التي خرجت عن الذوق اللفظي السليم .

التوصيات:

من توصيات البحث:

١/ العناية بتربية الناشئة على الذوق اللفظي، ويحدث ذلك بربط لغتهم بحفظ القرآن الكريم وتفسيره والأحاديث النبوية وشروحها .

٢/ العناية بدراسة الكتب المصنفة في الألفاظ العربية ودلالاتها، وكتب الأشباه والنظائر وربطها بالقرآن الكريم والسنة النبوية .

٣/ عقد الندوات والمحاضرات وإقامة المؤتمرات والملتقيات الخاصة باللغة العربية (لغة التنزيل الحكيم) واستخراج الكنوز الكامنة فيها عن طريق دراسة الإعجاز اللغوي والبياني في الكتاب والسنة المطهرة .

والله ولي التوفيق

المصادر والمراجع :

١/ الإحكام في أصول الأحكام : سيف الدين أبو الحسن الآمدي ، مطبعة محمد علي صبيح، القاهرة، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٨م .

٢/ الآثار التربوية لدراسة اللغة العربية : خالد بن حامد الحازمي ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، العدد (١٢١) ، السنة (٣٥) بتاريخ ١٤٢٤هـ .

٣/ أدب الدنيا والدين : أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري الماوردي ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٨٦م .

٤/ أدب الكاتب (أو) أدب الكتّاب : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، تحقيق: محمد الدالي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

٥/ أطواق الذهب في المواعظ والخطب (كتاب المقالات) : أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ، مطبعة نخبة الأخبار ١٣٠٤هـ .

٦/ البرهان في وجوه البيان : أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب تحقيق: حفني محمد شرف ، مكتبة الشباب (القاهرة) مطبعة الرسالة، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩م .

٧/ البيان والتبيين : عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ ، دار ومكتبة الهلال، بيروت ، ١٤٢٣ هـ .

٨/ التعريفات : علي بن محمد بن علي الجرجاني ، دار الكتاب العربي - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ ، تحقيق : إبراهيم الأبياري .

٩/ تهذيب اللغة : محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور ، تحقيق: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م .

١٠/ التوقيف على مهمات التعاريف : محمد عبد الرؤوف المناوي ، دار الفكر – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ، تحقيق محمد رضوان الداية .

١١/ الجامع الصحيح [سنن الترمذي] : محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون .

١٢/ الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور : نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب ، تحقيق : مصطفى جواد ، مطبعة المجمع العلمي ١٣٧٥هـ .

١٣/ جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب : أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي ، اشرفت على تحقيقه وتصحيحه: لجنة من الجامعيين ، مؤسسة المعارف، بيروت .

١٤/ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع : أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي ، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي ، المكتبة العصرية، بيروت .

١٥/ دلائل الإعجاز في علم المعاني : أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر ، مطبعة

المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .

١٦/ الدلالة عند العرب : عبد الكريم مجاهد ، عمان ، الأردن ، ١٩٨٥م .

١٧/ ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي: تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية.

١٨/ ديوان البحتري:تحقيق حسن كامل الصيرفى.دار المعارف بمصر–ط٢– ١٩٧٢م.

١٩/ ديوان المتنبي شرح أبي البقاء العكبري ، تحقيق مصطفى السقا وزملائه ، مطبعة مصطفى الحلبي ١٣٩١هـ .

٢٠/ رسالة في تحقيق معنى النظم والصياغة : أحمد بن سليمان بن كمال باشا، شمس الدين ، تحقيق حامد قنيبي ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، العددان٧١، ٧٢ السنة ١٨رجب– ذو الحجة ١٤٠٦هـ .

٢١/ زهر الآداب : إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري القيرواني ، دار الجيل، بيروت.

٢٢/ سير أعلام النبلاء : محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ .

٢٣/ شرح ديوان الحماسة (ديوان الحماسة: اختاره أبو تمام حبيب بن أوس) : يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا ، نشر دار القلم – بيروت .

٢٤/ شعب الإيمان : أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ.

٢٥/ صبح الأعشى في صناعة الإنشاء : أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢٦/ علم المعاني : عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م .

٢٧/ غرر الخصائص الواضحة : أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي المعروف بالوطواط ، ضبطه وصححه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: ابراهيم شمس الدين دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٢٨/ فتح الباري شرح صحيح البخاري : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني ، دار المعرفة – بيروت ، ١٣٧٩هـ .

٢٩/ في تاريخ الأدب الجاهلي: علي الجندي ، مكتبة دار التراث، ط١- ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.

٣٠/ في الميزان الجديد : محمد مندور ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى يناير ٢٠٠٤م .

٣١/ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ .

٣٢/ لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور المصري ، دار صادر بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٠م .

٣٣/ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب ،تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، الناشر: المكتبة العصرية للنشر – بيروت ، ١٤٢٠ هـ .

٣٤/ المحاسن والأضداد : عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان الجاحظ ، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٤٢٣ هـ.

٣٥/ المشترك اللفظي وترجمة معاني القرآن الكريم : المودودي بن إسماعيل عزيز ، الكتاب منشور على موقع المكتبة الشاملة بدون بيانات . http://www.shamela.ws

٣٦/ المعجم الوسيط : أحمد الزيات وآخرون تحت إشراف مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، نشر: دار الدعوة .

٣٧/ الملاحن (مطبوع ضمن «درة الغواص وشرحها وحواشيها وتكملتها»): أبو بكر محمد بن الحسن ابن دريد الأزدي ، تحقيق: عبد الحفيظ فرغلي علي قرني ، دار الجيل، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦ م.

٣٨/ الموافقات في أصول الأحكام : إبراهيم بن موسى الشاطبي، تعليق محمد الخضر حسين، تصحيح محمد منير، المطبعة السلفية- القاهرة، ١٣٤١هـ .

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــــوع	الصفحة
١	ملخص	٥٦٧٤
٢	Abstract	٥٦٧٦
٣	مقدمة	٥٦٧٨
٤	المبحث الأول: مفهوم الذوق اللفظي وأهميته و وسائله،	٥٦٨٢
٥	ـ المطلب الأول : مفهوم الذوق اللفظي .	٥٦٨٢
٦	ـ المطلب الثاني : أهمية الذوق اللفظي .	٥٦٨٨
٧	المبحث الثاني: أثر الذوق اللفظي في المتكلم والمخاطب ،	٥٦٩٤
٨	ـ المطلب الأول : أثر الذوق اللفظي فى المتكلم .	٥٦٩٤
٩	ـ المطلب الثاني : أثر الذوق اللفظي في المخاطب.	٥٦٩٩
١٠	الخاتمة : و تشتمل على نتائج البحث وتوصياته .	٥٧٠٥
١١	المصادر والمراجع	٥٧٠٧
١٢	فهرس الموضوعات	٥٧١٢